التدين الشبابي وتحولات القيم الدينية في المجتمع المغربي

الباحث مرزوق العيسي
أستاذ محاضر
المغرب

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تناول جانب من الظاهرة الاجتماعية، المتمثلة أساسا في التدين الشبابي وتحولات القيم الدينية الذي أصبح مجالا خصبا من لدن مجموعة من العلماء والباحثين في علم الاجتماع، كما يسعى إلى فهم وتفسير الظاهرة الدينية وارتباطها بالتحولات الاجتماعية التي يشهدها المجتمع المغربي، كون هذا التحول إنما هو مرتبط بالتحولات القيمية، حيث إن هناك انبثاق قيم جديدة في مقابل تراجع واختفاء قيم أخرى قديمة، يعد التدين جزءا لا يتجزأ من حياة الشباب، حيث طرأ عليه تحول في الممارسات الدينية وتصوراتهم وتأويلاتهم الدينية، إلا أن التحول الحاصل في مجال القيم الدينية في المجتمع المغربي، بأنه نتيجة لتغير عالمي تشهده مختلف البلدان في مناحي عدة، منها ما هو ديني، واجتماعي، واقتصادي، وسياسي، وثقافي، ساهمت بشكل أو بآخر في تغيير بعض جوانبه الشكلية، في مقابل تراجع بعض القيم النبيلة هناك صعود وبروز لقيم وممارسات أخرى كالنزعة الفردانية التي تضرب في الصميم معظم قيم التضامن الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: التدين، الشباب، التحول، القيم الدينية.

مقدمة:

يعتبر الحديث عن إشكالية تحول القيم الدينية اليوم، من بين المواضيع الأكثر حضورا في الملتقيات والندوات والمؤتمرات العالمية والإقليمية والمحلية، وذلك بالنظر لحجم التحولات التي جرت في السنوات الأخيرة، ولعلنا لا نبالغ إذا ما أكدنا على خلاصة أساسية، وهي أن الصراع الجاري اليوم في العالم، تجاوز ما هو مادي واقتصادي وعسكري وتقني، إلى ما هو قيمي ومعرفي بالدرجة الأولى، وقد سبق للعديد من الباحثين المشتغلين في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية أن أكدوا أن مستقبل الصراع في العالم سيكون في منظومات القيم.

لقد أصبح "للشباب حضور متنام على الساحة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وهو حضور ذو البعدين السياسي والثقافي، كما أن المجتمعات المصنعة التي بلغت قدرا عاليا من التعقيد سمحت أكثر من غيرها بظهور ثقافات فرعية شبابية، وبروز حركات شبابية ثقافية تلقائية أو منظمة تفاعلت مع الأحداث الكبرى التاريخية وساهمت فيها، وهذا ما أعطى للشباب مكانة اجتماعية لافتة أبرزت دوره في صناعة المجتمع الجديد، ورسم اتجاهات التحول في وضعية الشباب، الذي أصبح منذ فترة من الزمن فاعلا في أشكال جديدة من السلوك والتفكير والقيم، حاملا معه تعبيرات ثقافية متميزة يعكس بها وعي الشباب ومدى ارتباطه بقضايا المجتمع الأساسية ودوره في التغيير"[1].

إن القيم لابد أن تكون عامة وثابتة، مطلقة وكلية، بحيث تنطبق على جميع النـــاس دون استثناء، ولا تخضع لإرادتهم وأهوائهم الفردية والجماعية على السواء، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا سلمنا بأن مصدر القيم يعود إلى الله سبحانه وتعالى، يقول جاك ماريتان: "إن أي مجتمع بشـــري يحتاج إلى مجموعة من القيم ذات المصدر الإلهي الذي يعلو على الإنسان، أي أن مصدر القـــيم لا يجوز أن يرجع إلى الإنسان نفسه وإلا فإنه سيكون طرفا وقاضيا في نفس الوقت". ولكي نفهم بعضاً من هذه التحولات القيمية التي تؤثر بشكل كبير في قضية المعتقد، نشير إلى ما حصل في العقدين الأخيرين من القرن الماضي، وبداية الألفية الثالثة، حيث إن أزمة الحداثة، كما تحدث عنها، كل من "بيرغر" و"لوكمان"، والتي لا يمكن تفسيرها من خلال ما توصل إليه "كارل ماركس"، عندما تحدث عن مفهوم الاغتراب "Aliénation"، أو فيما طرحه من قبل دوركهام في مفهوم "الأنومي"، أو حتى من خلال العلمنة[2].

إن القواعد المعيارية والقيم الدينية تشكل بنية مجرى الحياة الإنسانية، وكل المجتمعات البشرية أسست لها قواعد وضوابط تسير من خلالها الشؤون اليومية الخاصة بالأفراد داخلها، وأصبحت أعرافا لا ينبغي الخروج عنها وإلا سيتم المعاقبة إما نفيا أو قتلا أو تعذيبا وتنكيلا مثلما كان في السابق، رغم بقاء هذه الممارسات في بعض الأماكن التي تشكل "غيتوهات" خاصة بأصحابها لا ينبغي الاقتراب منها إطلاقا، أما الآن فقد تحولت هذه القواعد إلى قوانين تسنها الدولة عبر تشريعات قضائية ينبغي المثول لها، كونها تمس الجميع دون استثناء، والتي تأتي عبر البرلمان، وباقي المؤسسات الأخرى، كون هذا الأخير يعبر عن تمثيلية شعبية بداخله سواء كانت صورية أم حقيقية، فالأمر الذي ينبغي الانتباه إليه هو أن هذه القواعد التي تنعكس من خلال القيم، وتتجلى في توجهات الدولة الداخلية تكون وجها لما يوجد في الوسط المعيشي للمواطنين من ممارسات وسلوكيات اجتماعية معينة ومحددة[3].

مفهوم التدين: "تدين اقترض فصار مدينا ودان به، الديانة، ما يتدين به الإنسان، الدين الديانة اسم لجميع ما يعبد به الله والملة والإسلام والاعتقاد، التدين تدين: من الدين والدين جميعا التفاعل، الدين ما يتدين به الإنسان، اسم لجميع ما يعبد به الله، ومنه الملة، وبمعنى الإسلام، مأخوذ من الدين، والدين بالكرس العادة والشأن، ودانه دينا، أي أذله واستعبده، يقال دينته فدان والدين الجزاء والمكافأة، يقال دانه دينا، أي جازه، يقال كام تدين تدان، أي كام تجازي تجازى، أي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت.

التدين اصطلاحا "يتمثل أوال بالتسليم لله عز وجل، والتذلل له سبحانه والخضوع والطاعة والامتثال، وجامع ذلك كله: العبودية لله سبحانه، ولذلك سمي الإسلام بهذا المعنى، فالإسلام معناه التسليم لله عز وجل بالعبودية والطاعة، الاستسلام المطلق، والاستسلام أي استسلام التدين البد أن يشمل استسلام القلب واستسلام الجوارح، وخضوع القلب وخضوع الجوارح[4].

مفهوم الشباب: يعتبر الشباب مرحلة من مراحل حياة الفرد، تتراوح فترها الزمنية عادة بين الطفولة والثلاثينيات، وهي فترة حيوية تمتاز بالتطور البدني والعقلي والاجتماعي. يتسم بالديناميات الفريدة التي تشكل تأثيرا على تصوره للذات وموقعه في المجتمع، إلا أن الدراسات الاجتماعية تؤكد جميعها على عدم وجود تعريف واحد ومحدد للشباب، بل هناك تعريفات متعددة تمتلك كل واحدة منها وجهتها التفسيرية الخاصة بها، ولكنها تتفق على أن الشباب ظاهرة اجتماعية تتحدد بالشروط المعيارية لكل مجتمع.

ويقدم لنا المدخل اللغوي أهم سمات هذه الفئة حيث نجدها عند ابن منظور مرتبطة بالحيوية والتهيج والحركة، وهي قيم ذات دلالة اجتماعية عالية في تشكيل الأساس الفعلي للتغير الاجتماعي. فهو لا يتناول الجانب العمري بقدر ما ينبهنا إلى الخصائص الجسدية والنفسية والوجدانية للشباب وإن اختلفوا في الجنس أو الانتماء الاجتماعي.

أما الناحية الديموغرافية، فهي تحدد مفهوم الشباب وفقا لمعيار السن، وتعتبر الشباب مرحلة عمرية " une cohorte " يتحدد من خلالها الجيل كمجموعة من الأشخاص الذين لهم نفس العمر تقريبا، وغير بعيد من هذه النظرية، نجد أن الاتجاه البيولوجي يؤكد على عوامل النمو الجسمي والعضوي والنضج العقلي والنفسي، المرتبطة بمرحلة الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب، ولذلك نجده يحددها ما بين 16 سنة إلى 30 سنة. فنجد مثال، تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2016يصف مرحلة الشباب بأنها " مرحلة يخرج خلالها الشخص من الاعتماد إلى الاستقلالية بالنفس".

في حين، يرى عزت حجازي، أن الشباب مرحلة تبدأ من الناحية العضوية بتجاوز مرحلة البلوغ، وبروز واضح من الناحية العقلية، لملكة النقد بشكل حاد وعدم تقبل الأفكار والمسلمات بسهولة، وانبثاق أزمة الهوية والقلق من الناحية النفسية، أو تغير دائم في مظهره من الناحية الجمالية وبالتالي فهي تمثل " اقتراب شكل الجسم ووظائفه من آخر درجات النضج، ومن الناحية النفسية يكاد عمر الفرد العقلي يصل إلى قمته، ويتولد احساس الشخص بأنه لم يعد صغيرا، ويطالب بتوقف معاملته بأنه صغير. ومن الناحية الاجتماعية يتأكد اعتراف الآخرين الشخص لم يعد طفلا. فبداية الشباب بناء على هذه المسلمات، هي نقطة تحول، ففي حدود الخامسة والعشرين يبدأ البحث عن الاستقرار والاستقلالية كتشاف الحياة الاجتماعية، وهذا بعد اتمام الدراسة أو ربما الزواج ليلتحق بفئة الراشدين.

من زاوية أخرى، يقوم التحليل السوسيولوجيا ل "Pierre Bourdieu" على رفض التعريف الذي يستند إلى التحديد العمري. فهو يعتبر بأن التقسيمات بين الأعمار اعتباطية، كما أن الحدود الفاصلة بين الشبابية والشيخوخة تتغذى في جميع المجتمعات من رهانات سلطوية، فمن خلال الوصاية يعاد إنتاج المجتمع بطريقة يحافظ فيها الجميع على مواقعهم. فالشيوخ مثلا سيعملون على احتكار الحكمة والرساميل الرمزية، في حين يوصم الشباب بالعنف والمراهقة والتهور وعدم المسؤولية. وعلى هذا الأساس، يفترض بأن الشبابية والشيخوخة ماهي إلا بناءات اجتماعية وتمثلات إيديولوجية لأن العلاقة بين العمر البيولوجي والعمر الاجتماعي بالغة التركيب.

إن فهم الشباب من منظور اجتماعي وسياسي يكشف عن تعقيدات هذه المرحلة الحياتية وأثرها العميق على التشكيلات الاجتماعية والسياسية في المجتمع. ويتيح هذا النظر الشمولي إمكانية فهم التحديات والفرص التي يوجهها الشباب وكيف يمكن أن يلعبوا دورا فعالا في بناء مستقبلهم ومستقبل المجتمع[5]

مفهوم التحول: ترد في الأدبيات السوسيولوجية تعبيرات مختلفة، من أهمها التغير الاجتماعي والتحول الاجتماعي والحراك الاجتماعي، إن الأمر لا يتعلق بمترادفات، وإنما بمصطلحات تعكس رؤى نظريات سوسيولوجية لمنطق وعمق ووتيرة ما تشهده المجتمعات من تغيرات بطيئة تمتد عبر عقود أو حقب من الزمن.

ثمة مرادفات عدة تقترحها علينا القواميس العربية للتحول بدءا من التغير إلى التبدل والتقلب والاختلاف والانتقال، وعلى مستوى آخر هناك من يضيف كلمات أخرى قريبة من معنى التحول، وإن كانت لا تعنيه صراحة، كالتطور والنمو والحركية.

ولقد جاء في لسان العرب بأن التحول هو" تغير الشيء عن حاله، وغيره تفيد حوله وبدله، ومنه نقول: وغيره الدهر أي أحواله المتغيرة، فالتحول لغة هو التغير من وضع إلى وضع، بما يقتضيه هذا التحول من انتقال واختلاف بين الفائت واللاحق.

"إن الثراء اللغوي الذي تقابل به كلمة تحول، نصادفه أيضا في المعجم الفرنسي حيث نجد كلمات من قبيل: **transformation** و**changement**، و**mutation** للتأشير عن نوع من التغير الذي يهم الواقع، منتقلا به من حال إلى حال، خارج " ثراء اللغة" نقول إن التحول الاجتماعي هو كل تغير يطرأ على بنيات المجتمع خلال فترة معينة، فهو يهم كل تغير مادي أو رمزي يحدث فيه تبدلات في أنماط العلاقات وأشكال الوظائف والأدوار ونظام الرموز والقيم والتصورات"[6].

مفهوم القيم الدينية

القيم لغة: القيم مفردها قيمة وهي اسم من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل واستوى، وقد وردت في لسان العرب على أنها الاستقامة تعني اعتدال تعني اعتدال الشيء واستوائه[7].

القيم اصطلاحا: القيم هي أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشرف بها الفرد ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره، وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه، فالصدق والأمانة والشجاعة الأدبية والولاء وتحمل المسؤولية كلها قيم يكتسبها الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه، وتختلف القيم باختلاف المجتمعات بل والجماعات الصغيرة[8].

كما تعرف بأنها مجموعة مبادئ وضوابط سلوكية وأخلاقية تحدد تصرفات الأفراد والجماعات ضمن مسارات معينة إذ تصب في قالب ينسجم مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع .فالقيم الاجتماعية أنما هي معايير سلوكية واخلاقية التي ترتبط بمعايير أخرى يحددها الإطار العام للمجتمع والمرحلة الحضارية والتاريخية التي يمر بها والظروف الموضوعية والذاتية المحيطة به والمؤثرة في ظواهره وعملياته الاجتماعية[9].

1- الدين والتغير الاجتماعي

1-1مفهوم التغير

يثير مفهوم التغير في المصطلح السوسيولوجي مشكلة كبيرة، وتنعكس مشكلة التعريف هذه على تعقد ظاهرة التغير الاجتماعي إلى حد كبير، فضلا عن اختلاف الأطر الإيديولوجية لأصحاب التعريفات المتعددة، في بعض الأحيان تستعمل كلمة التغير **(change)** كمرادف للتنمية **développement** والتقدم أو الارتقاء **Progress** والتطور **évolution** والوظيفة **fonction** والعملية **processe** وعلى أية حال، وجد علماء الاجتماع أنه من المفيد الاحتفاظ بالفروق بين هذه الكلمات، وكل هذه المصطلحات يتضمنها مصطلح التغير الذي يشير إلى الاختلاف الذي يحدث بمرور الوقت ويمكن أن نضيف إلى هذه المفاهيم مفهوم النمو **growth** ومفهوم الإصلاح **réforme** اللذان يشيران أيضا إلى معنى التغير، وعموما يعرف جاي سوانسون **swanson** التغير بأنه اختلاف في البناء يحدث بمرور الوقت ويبدأ بواسطة عوامل خارج ذلك البناء، ومشكلة هذا التعريف أنه يخفي العوامل الداخلية التي تؤثر في البناء على

عملية التغير الاجتماعي، أما روجرز **rogers** فيعرف التغير الاجتماعي بأنه عملية يحدث بواسطتها تبديل في تركيب النظام الاجتماعي ووظيفته، ويوضح كذلك أن التغير يحدث تحولا في شكل الهيكل أو النسق، ويؤثر في وظائفه أيضا.

بينما إدوار ويلسون **(edwar o. wilson)** يدرجه ضمن الرؤية التطورية الحديثة والتي تؤكد على فكرة التكيف، ولكنها تبتعد عن تحديد العملية في إطار الأصول الوراثية، حيث يصف التغير الاجتماعي بأنه العملية التي تتم منذ ملايين السنين كتشكيل للبشر بصورة فردية أو اجتماعية من خلال استراتيجيات البقاء التكيفية، ومعنى ذلك أن التغير في المجتمع يمكن أن يتم بطرق إيجابية (تكيفية) أو سلبية (غير تكيفية)، وهذه الاختيارات سوف تقرر مصير كل مجتمع[10].

وتدل كلمة تغير في اللغة العربية على معنى التحول والتبدل، كما أنها تعني الأشياء واختلافها، ويشير المصطلح في اللغة الإنجليزية إلى معنى الاختلاف في أي شيء يمكن ملاحظته في فترة زمنية معينة.

ويعرف معجم العلوم الاجتماعية التغير الاجتماعي على أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة ويشمل ذلك كل تغير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي ونظمه الاجتماعية أو في أنماط العلاقات الاجتماعية، أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد، والتي تحدد مكانهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات التي ينتمون إليها.

وبصفة عامة نقصد بالتغير الاجتماعي نوعا "من التباين والاختلاف الذي يحدث على مكونات البناء الاجتماعي والنظم والظواهر الاجتماعية، والذي يؤدي إلى حدوث تغير في أنساق التفاعل، والعلاقات، وأنماط السلوك، والنشاط الإنساني، ويعد السمة المميزة لطبيعة الحياة الاجتماعية في المجتمعات الحديثة"[11].

ولقد شكل موضوع التغير الاجتماعي جزءا كبيرا من تراث علم الاجتماع في الفترة الحديثة والمعاصرة، ووضعت العديد من النظريات السوسيولوجية لتفسيره وتتبعه عبر مراحل مختلفة، والملاحظ أن هناك اختلاف كبير بين هذه النظريات حول طبيعته حيث تصل أحيانا إلى حد التضاد، ولم يكن الاختلاف حول طبيعة التغير، بل كذلك حول العوامل المسببة له ونتائجه، ومرجع ذلك إلى ارتباط تلك النظريات والتفسيرات بالمعرفة الإمبريقية المتغيرة من مجتمع إلى آخر، أو أحيانا لأن هذه النظريات ترتبط في كثير من الأحيان بإيديولوجية الباحث وادعائه بأنها معرفة علمية محضة، كل هذه العوامل كانت السبب الرئيسي في إعاقة تفسير ظاهرة التغير الاجتماعي بالشكل اللازم، لذلك يتبين أنه صعب وضع تعريف دقيق لظاهرة التغير الاجتماعي وذلك لتعقدها ولاختلاف مرجعيات أصحاب تعريفات التغير[12].

كما أن "التغير الاجتماعي هو مجموعة من الهياكل الاجتماعية، والتي يطرح فيها أهم الاتجاهات الرئيسية للتطور الاجتماعي تتميز بعدم رجوعها، ويتم تأثيرها على العادات والقيم والثقافة وأنماط حياة الجماعة، والأفراد خلال فترة طويلة من الزمن"[13].

2-الدين عائق للتغير الاجتماعي

2-1-الدين عامل للتغير

حينما نود بحث دور الدين (الدين الإسلامي بالنسبة لموضوعنا) وتأثيره في إحداث التغير الاجتماعي ودفع عجلته يكون من اللازم البحث أولا في الموقف الشرعي من هذا التغير، لا أحد يمكنه أن ينكر التغيير الذي أحدثه الإسلام في المنطقة العربية التي ظهر فيها تغيير بنيوي جذري في التنظيم الاجتماعي القبلي الذي كان سائدا في الجزيرة العربية، وتغيير في المعتقدات والمعارف والقيم (الثقافة)، فقد شكل الإسلام في مرحلته الأولى، طاقة روحية ثورية غيرت التاريخ الإنساني، ولم يختلف الإسلام بهذا عن بقية الأديان، فكل الأديان عملت في بدايتها على تقديم مشروع بديل عما هو قائم، وإلا لما كان لوجوده من مبرر، بمعنى أنه يتضمن منظورا جديدا للحياة أي "

طريقة في الرؤية بالمعنى الواسع للكلمة، وهو المعنى الذي يتضمن " التمييز" " والفهم" " والاستيعاب"، إنه طريقة خاصة في النظر إلى الحياة، وكيفية خاصة في تفسير العالم.

وقد شكل الدين في مرحلته التأسيسية الأولى ثورة شاملة، فأحدث تغييرا في مختلف جوانب الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والثقافية للمجموعة المستهدفة، وهذا ما قام به الإسلام في بدايته، فقد أحدث تغييرا جوهريا في المنطقة التي ظهر فيها، فهل هذا التغيير جاء كنتيجة طبيعية لتطور الظروف والشروط العامة للمنطقة؟ وهل قام الإسلام بإضفاء الشرعية عليه أم أن ذلك التغيير ما كان ليحدث إلا بفعل مجيء رسالة الإسلام بالضبط؟ بمعنى آخر هل التغيير الذي وقع في الجزيرة العربية لحظة مجيء الإسلام هو نتاج عصر أم نتاج شخص؟

يعتبر العديد من الباحثين بأن الشروط التي كانت تعيشها شبه الجزيرة العربية كانت مهيأة لظهور دين جديد، أي أن الظروف العامة لمنطقة الحجاز كانت قد وصلت إلى وضع من التفكك والانهيار بسبب الصراعات والحروب القبلية. إضافة إلى الحرب بين البيزنطيين والفرس؛ الإمبراطوريتان الكبيرتان اللتان كانتا تمثلان العالم المتحضر، كانت تلقي بظلالها على القبائل العربية، لأن كل قوة كانت تبحث لها عن حلفاء في قلب الجزيرة العربية فتزيد من تطاحن القبائل العربية وتشرذمها وفقرها، فتجعلها دائرة في فلكها. وعموما فقد كانت هذه العوامل والشروط التي ظهر فيها الإسلام موضوع نقاش العديد من الباحثين.

وإذا كان هناك اتفاق بين معظم الباحثين على أن الظروف العامة التي ظهر فيها الإسلام كانت محددة لنجاحه وتحقيق التغيير في الجزيرة العربية، وكما سبق لنا أن حددنا ذلك، بأن أي تغيير تكون له عوامل محددة وشروط مساعدة وفاعلين حاملين للتغيير، لذلك يبدو أن العامل الحاسم هو ظهور دين جديد على يد شخص يحمل كل الصفات الكاريزمية التي تجعله مؤهلا لحمل هذا المشروع، مع توفر شروط مواتية مساعدة على نجاح المهمة، وتواجد فاعلين قادرين على ترجمة المشروع إلى واقع مادي ملموس.

وهذا ينسجم في نظرنا مع نظرة علم الاجتماع الحديث في أشكاله العلمية، يميل إلى رفض الفكرة التي تقول بوجود سبب مهيمن للتغيير الاجتماعي، فبعض عمليات التغيير تكون نابعة من الداخل، أي تحددها أسباب داخلية في نظام اجتماعي معين"[14].

دخلت "الجزيرة العربية، بفضل الهيمنة المكية، في مرحلة جديدة من حياتها السياسية والدينية فكانت تتوق إلى حياة قومية، وتنزع إلى دين أكثر انفتاحا، وكان القريشيون قد فهموا بحصافة بطلان، وخصوصا جمود التشكيل القبلي الذي كان التعصب العشائري من أخص تجلياته، وتمكنوا عبر تحالفات مثل حلف الفضول، من ضمان انتصار القومية الناشئة على حساب الأنانية البدوية، وبعد ارتباط حيني بآلهتهم المحلية، ارتفعوا إلى تصور أرقى من تصور الدين القومي، وهذا الانتقال من العشيرة إلى الأمة رافقه تطور موازٍ، استبدل " الفوضى" البدوية بفردانية متفكرة، جديرة على المدى الطويل، بإنشاء وحدة روحية، إلى جانب الوحدة العضوية، ولا تقل عنها كينونة وديمومة، بيد أن هذه الحركة المزدوجة، ألا وهي حركة التوحيد العبادي وحركة التمايز الاجتماعي، كانت تشق السبيل أمام حركة أشمل وأوسع، كان لابد من تتويجها بالإسلام"[15].

تعتبر العلاقة بين الدين والتغير الاجتماعي في مجتمعاتنا غاية في التميز والخصوصية نظرا للالتصاق الوثيق بين الدين والمجتمع بشكل عام، والدين والدولة بشكل خاص، منذ ظهور الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي كان التداخل واضحا حيث لم يكن "الرسول" زعيما دينيا فحسب، بل إنه كان كذلك زعيما سياسيا، ومدنيا، وقائدا عسكريا. منذ انتهاء الخلافة الراشدة واستقرار الحكم للأمويين، والمجتمع العربي – الإسلامي يشهد صراعا حادا بين الواقع الاجتماعي المعاصر له والرؤى الدينية المثالية. هذا الصراع الذي كان ولا يزال يعمل على تشكيل الواقع ويفرز حركات اجتماعية، ومحاولات تغيير ذات أهداف ومضامين مختلفة.

إن الحركات الاجتماعية ومحاولات التغيير التي شهدها ولا يزال يشهدها مجتمعنا لم تستطع حتى الآن، وبصرف النظر عن أهدافها ومضامينها الإفلات من الدين أو الاستقلال عنه، معناه فشل الحركات الاجتماعية، ومحاولات التغيير بسبب وقوف الدين الإسلامي من خلالها كعائق، لابد من الكشف عن الآليات والأبعاد والظروف التي يعمل الدين الإسلامي من خلالها كعائق للتغير الاجتماعي.

يشير التحليل الدقيق لتاريخ المجتمع العربي – الإسلامي إلى أن الطبقات الحاكمة استعملت ولا تزال تستعمل الدين لمصلحتها، وهي تتخذ منه قناعا لسياستها، ومصدرا مهما لشرعيتها، وكذلك وسيلة من وسائل القمع التي تستخدمها، وفي العصر الحديث ظل الدين أداة ميسورة للسياسة تستغله القوة لتشريع وجودها غير الشرعي مرة، أو لتبرير مظالمها وابتزازها مرة أخرى"[16].

إن فهم "الوجوه المعقدة للتغيير الاجتماعي يؤدي إلى رفض التقاليد التي تريد على غرار تقليد ماركسي معين، أن يأخذ التغيير بالضرورة شكل الانقطاعات المتتابعة مع ظهور التناقضات، وهو ينطوي على الفكرة القائلة بأن التغيير الاجتماعي قد ينتج عن أسباب أساسية مزعومة، وهو ينطوي كذلك على رفض المتغيرات " البنيوية" التي ترغب في أن يكون المستقبل متضمنا في بنى الحاضر، وغالبا جدا، لا تقوم "البنى" المزعومة سوى بتعيين عناصر النظام التي قرر " البنيوي" تعسفا، إضفاء الأولوية عليها"[17].

والخلاف حول دور الدين الاجتماعي لا ينفي أن تأثير الدين في المجتمعات البشرية بما بلغه من العمق والحضور، قد جعل المتخصصين في العلوم الاجتماعية المعنية بالدين يكادون يجمعون على الإقرار بأن للدين – بصرف النظر عن حقيقته في نظرهم – قيمة وظيفية كبيرة، وعلى ذلك اعترف معظم علماء الاجتماع بجدواه الاجتماعية، وبشكل عام، هناك اتفاق على أن للدين تأثيرا عميقا على الحضارة الإنسانية، فالتقدم الإنساني حيثما حدث يدين بدين ثقيل إلى الوحي الديني الذي زوده بالأفكار الدينية، ويعتقد صموئيل كوهين (samual s. cohen) أن الدين كان المحور الذي دارت فيه الحضارة، فلقد بنى الإمبراطوريات، وهو أيضا الذي دمرها، في نقاوته يكون حاملا لشعلة وطليعة التقدم، وعندما وضع في خدمة التعصب كان الدين سوط الإنسانية وعقبة العلم، وفي إطار الاهتمام العلمي المتزايد بدراسة الأبعاد الاجتماعية للدين ظهرت حركة فكرية جديدة تسعى إلى استكشاف دور الدين في عملية التغير الاجتماعي، وواكب ذلك اهتمام واسع بالدراسة السوسيولوجية للإسلام، خصوصا فيما يتعلق بقضية التغير الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية، ومراجعة العلاقة بين الدين والدولة، وقد تنامت هذه الحركة في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين حتى أصبح علماء الاجتماع يعتبرون العالم الإسلامي في صلب اهتمامهم بشكل كبير[18]، وتختلف كتابات م. فيبر عن الدين عما وضعه إ. دوركايم من تركيزها على الترابط بين الدين والتغير الاجتماعي – وهو المجال الذي لم يتطرق إليه دوركايم، كما أن فيبر يعارض الموقف الذي اتخذه ك. ماركس، إذ يرى أن الدين لا يمثل بالضرورة قوة محافظة، بل بعض الحركات والتوجهات الدينية التي تستلهم جانبا من تعاليم الدين قد أحدثت تحولات اجتماعية مثيرة في المجتمعات الغربية، فقد كانت البروتستانتية ولاسيما الاتجاه التطهري البيوريتاني منها، المنبع الأساسي للنظرة الرأسمالية في المجتمعات الغربية الحديثة، وكان من أوائل المبادرين بالمشروعات التجارية من أتباع الزعيم البروتستانتي كالفان، وكانوا في اندفاعهم لتحقيق النجاح، الذي أسهم في انطلاق التنمية الاقتصادية الغربية، يصدرون عن رغبة في خدمة الله، وكان النجاح المادي المالي بالنسبة إليهم علامة من علامات العناية الإلهية.

وأثار فيبر من خلال دراسته لأديان العالم مشروعا واحدا متكاملا، كما أن مناقشته لأثار البروتستانتية على التنمية في الغرب مثلت جانبا واحدا من محاولته فهم آثار الدين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سياقات ثقافية متنوعة، وخلص فيبر من تحليله للأديان الشرقية إلى القول إنها كانت تنطوي على حواجز عالية تحول دون تنمية الرأسمالية الصناعية التي شهدها الغرب[19].

3-الإعلام الديني والتحولات الدينية

لا يمكن فهم عمق "التحول الذي حصل في المشهد الديني، دون الرجوع إلى مختلف الكتابات التي برزت في الآونة الأخيرة، التي كانت تتحدث عن موجات التحديث التي انتشرت في العالم، من خلال مجموعة من المفاهيم المركزية، لعل تحطيم كل الأفكار

الدوغمائية، وتجاوز كل المطلقات والحكايات الكبرى أو ما يسميه بعض الباحثين ب السرديات الكبرى كناية عن وقوع تصدع في المنطلقات الوجودية التي كان يتأطر عليها الكثير من الشباب المنضوي تحت حركات الإسلام السياسي، أو تلك التي تتأطر من خلال المؤسسات الرسمية، كالمجالس العلمية والوزارات أو المدارس أو غيرها، وقد تجلى هذا الأمر في رفض " الجيل الناقم" من الشباب كل التصورات الانغلاقية والمتوقعة على الذات وأيضا " الشوفينية ". وهكذا أضحى الجيل الجديد أكثر انفتاحا في منطلقاته ومفاهيمه وفي لغته وخطابه، حيث أصبح يوظف مفاهيم عالمية بنفحة إسلامية، كمفهوم "الجهاد الإلكتروني" " والنسوية الإسلامية" " والإسلام الديمقراطي" " والمسلم المعاصر" من خلال هذا المزج بين خليط متنافر من الاعتقادات، فأصبح الدين بدوره يخضع لمنطق الاستهلاك، استهلاك تعددية الألوان الدينية المتاحة في السوق العالمية"[20]، هذا التطور الإعلامي أسهم في منافسة المؤسسات الاجتماعية التقليدية في التأطير الفكري والثقافي داخل المجتمع عبر توسيع دائرة الخيارات ومصادر تلقي المعرفة وبناء التصورات الفكرية والقيمية، هذه التعددية في مصادر إنتاج القيم، والتي لعب الإعلام دورا محفزا في تكريسها، كانت لها انعكاسات على منظومة القيم الدينية والثقافية، فبرزت أنماط جديدة من العلاقة مع المرجعية والهوية، مما دفع العديد من الباحثين إلى الحديث عن ظاهرة التدين الجديد، الذي من أعراضه ظهور ممارسات جديدة، مثل حجاب الموضة، والفن الديني العصري، وهي محاولة " لأسلمة الحداثة"، إن مشروع أسلمة الحداثة، أو ما يسميه بعض الباحثين ب" الرجوع إلى الإسلام"، مرتبط بتأثير بارز للإعلام على الخطاب المسلم، ويشير إلى حدوث انفتاح إعلامي أسهم في إنتاج حالة من السيولة في الخطاب الديني، أنهى زمن إنتاجه محليا إلى مرحلة جديدة تتميز بخطاب ديني معولم تبثه الفضائيات الدينية والمواقع الإلكترونية[21]، فإن الأهم من هذا التحول، هو ما يمكن ملاحظته في نوعية الممارسات والسلوكيات اليومية التي تؤشر على نمط جديد من التدين، وهو ما يمكن أن نطلق عليه، مفهوم "التدين الفردي".

عمل "الإعلام الديني الجديد على فك الارتباط بالمؤسسات التقليدية وبالمنابر وبالخطيب الأربي، والتلقي المباشر، إلى نوع جديد من الخطاب الفضائي، نسبة إلى الفضائيات التي أصبحت تؤثث مشهدنا الإعلامي الإسلامي، وإلى "دعاة عصرية حداثية"، وإلى لغة وخطاب جديد متسائل في القضايا الأخلاقية، كلّ ذلك أفضى إلى بناء منظومة جديدة من القيم الدينية عند الشباب المسلم بشكل خاص وعند – الفتيات بصفة تستحق كلّ المتابعة والاستكشاف، وقد كان لافتاً أن يتلقى الجيل الحالي أطره المرجعية وتصوراته وأفكاره من خلال فئة من "الدعاة" قدّمت خطاباً دينياً يركز على القيم الفردية في التدين، وكأنّ الشاب المسلم والشابة المسلمة يتدينان في عالم منعزل عن الآخرين، ودون مراعاة للشروط البنيوية التي تؤثر في السلوكات والممارسات والاتجاهات"[22]، وحتى وقت قريب كانت "ديناميكيات الأسلمة مستقطبة بتفاعل عنيف بين الديني والسياسي، أما الآن فقد بدأ تفاعل جديد بين الديني والاقتصادي، ولا يوفر الفاعل الاقتصادي لأنماط التدين الجديدة روافعها المادية الملموسة كالسوق فحسب، بل يمدنا أيضا بنماذج التفكير من خلال إعادة صياغة الإسلام نفسه، وفق مفردات جديدة "كتحقيق الذات"، ويضيف إليها عناصر مستخلصة من الأخلاقية البروتستانتية، من هذه التفاعلات سينتج لدينا ما نسميه "لاهوت النجاح" الذي يبشر بالمسلم الجديد الذي لم يعد يقدم نفسه كورع، أو عبر المواجهة المسلحة، بل عبر الأداء والمنافسة، تم تسييس الديني على أسس نيو ليبرالية"[23].

ومن منظور آخر؛ إن "للثقافات الشعبية تأثير عميق في الجماعات الدينية التقليدية، حيث أصبح التلفزيون في المجتمع المعاصر الوسيلة التي يكتسب من خلالها المرء الخبرات ويتفاعل من خلالها مع العالم من حوله، وبالمثل أيضا هناك تشابك بين التعاليم الدينية وصناعة النشر، ففي كل عام هناك الآلاف من الكتب الأكثر توزيعا التي تبث الأفكار الدينية، بعضها مسيحي بشكل واضح، والبعض الآخر أقل وضوحا"[24].

الدين والعلمنة

إن "العلمنة تمثل أحد التطورات المركزية في سوسيولوجيا الأديان، فانطلاقا من هذا المفهوم ومن تنوع التفسيرات التي أوجدها، انعقد ضمنه التفكير حول العلاقة بين الحداثة والدين، وقد فرضت الكلمة نفسها أولا في الفضاء الحقوقي، فمنذ نهاية العصر الوسيط، وبينما

كان التمايز بين الفضاءات يتأكد، كانت تعني تحويل ملكية دينية إلى مؤسسة مدنية، لكن أيضا العملية الشرعية للكنيسة التي يتم البناء عليها إعادة رجل دين إلى الحالة اللائيكية، واستعملت الثورة الفرنسية هذه المفردات العائدة للنظام القديم في مدونتها القانونية، وسيتجذر اللفظ سريعا في الحقل الفلسفي، إذ يأخذه هيجل على عاتقه، حيث يدرج الفيلسوف الألماني تحت هذا التصور عملية التجاوز التي بها يبتعد المجتمع الحديث عن الرواية المسيحية ويستلهمها في آن واحد، ومفكرون آخرون كفيورباخ وماركس ونيتشه التقطوا المصطلح وأعطوه تعريفا أقل اتفاقا مع المعنى الديني، إذ تحيل العلمنة في مؤلفاتهم إلى إمحاء كل مرجع مسيحي"[25].

العولمة كلمة عربية تقابلها بالفرنسية مصطلح (**mondialisation**)، ومن خلال إدراك المعنى فإنها تحاكي مفهوم الكونية، **globalisation** والكوكبية والشمولية وقد تتسع دائرتها من خلال ذلك لتشمل العالم.

التعريف اللغوي: عولمَ يعولم، عولمة، فهو معولِم، والمفعول معولَم. وعَوْلَمَ الشّيْءَ: أَعْطاهُ طابعا عالميا، وعولمة مصدر للفعل عولم وتعرف لغويا على أنها حرية انتقال المعلومات وتدفّق رؤوس الأموال والسِّلع والتكنولوجيا، والأفكار والمنتجات الإعلامية والثقافية والبشر أنفسهم بين جميع المجتمعات الإنسانية، حيث تجري الحياة في العالم كمكان واحد أو قرية واحدة صغيرة.

التعريف الاصطلاحي: فحسب صندوق النقد الدولي في تقريره المنشور في ماي 1997 فإنه عرف العولمة على أنها " التواكل الاقتصادي والمتنامي لمجموعة بلدان العالم المدفوع بازدياد حجم وتنوع المبادلات العابرة للحدود والخدمات ورؤوس الأموال مع الانتشار المتسارع والشامل للتكنولوجيا"[26].

بينما يستخدم علماء الاجتماع مصطلح "العولمة على تلك العمليات التي تضفي الزخم والكثافة على العلاقات الاجتماعية المتبادلة المتداخلة، وقد غدت العولمة ظاهرة اجتماعية بالغة الاتساع وعظيمة الأثر في تداعياتها، والعولمة لا تقتصر على تطور وتنامي الشبكات والنظم الاجتماعية والاقتصادية بمنأى عن اهتماماتنا المباشرة، إنها في الوقت نفسه ظاهرة محلية تؤثر فينا جميعا في حياتنا اليومية"[27].

إن مفهوم "العلمنة باعتبارها تعارضا بين التحديث والدين مستمد من تحليل عملية تحديث مجتمعات أوروبا الغربية، وقد أدت هذه العملية إلى فقدان الوزن الديني في المجتمع، وإلى التميز التدريجي في المجالات الاجتماعية، مثل الدين والسياسة والعلم، وما إلى ذلك، وبعد هذا التحليل، تم توسيع نطاق هذه الفئة لتشمل نطاقا عالميا، من أجل وصف عمليات التحديث التي تحدث في مجتمعات أخرى، ثم جاءت عمليات النمو الاقتصادي السريع في بعض بلدان منطقة آسيا والمحيط الهادي"[28].

كلمة "علمانية ترجمة لكلمة (**secularism**) الانجليزية التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية، والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية سيكولوم (**saeculum**) وتعني العصر أو الجيل أو القرن، أما في لاتينية القرون الوسطى، فإن الكلمة تعني العالم أو الدنيا مقابل الكنيسة"[29].

وتشير عبارة "ما بعد العلمانية" إلى مصطلح حديث الولادة في المجتمع الثقافي الغربي، من خلال المطارحات التي جرت خلال العقد الأول من القرن الجاري، بدا أن هذا المصطلح لا يزال في طوره الابتدائي، وعلى الرغم من أن النقاش حوله لا يزال مقصور على حلقات ضيقة من المفكرين وعلماء الاجتماع في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن شأنها شأن غيرها من المفاهيم التي أدخلتها الحداثة الفائضة في سجل " المابعديات"، فقد وقعت ما بعد العلمانية في مأزق دلالي مصحوب بارتباك اصطلاحي شديد.

تبين المعطيات الحديثة أن المراجع التأسيسية لمصطلح " ما بعد العلمانية"، تنحصر في أعمال بحثية صدرت بعد العام 2010، وهذه الأعمال هي حصيلة مؤتمرات خصصت لتعبير هذه القضية، في مقدم الأفكار والنظريات التي استندت إليها تلك الأعمال هي ما اشتغل عليه عدد وازن من المفكرين وعلماء الاجتماع، في مقدمتهم الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس، والكندي تشارلز تايلور، وعالم

الاجتماع الأمريكي بيتر بيرغن، وعالم الأنثروبولوجيا من أصل إسباني خوسيه كازانوفا، ممن أسهموا بصورة مباشرة في تسهيل الكلام على فكرة "ما بعد المادية"[30].

لعبت العولمة –خصوصاً الثقافية– دوراً كبيرا في تغيير مجموعة من المرجعيات والمفاهيم والرؤى والتصورات والمعتقدات، حتى تلك التي تبدو عصية على التغير والتحول والانتقال، ومنها بطبيعة الحال، الديانات السماوية الكبرى، ولعل من أهمها الديانة الإسلامية، فقد بينت العشرين سنة الماضية حجم التحولات والتغيرات التي طرأت على أنساق التمثلات والسلوكات والمواقف والاتجاهات والقيم في تمثل الدين الاسلامي عند غالبية المجتمعات الإسلامية.

بالرجوع إلى بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت إشكالية تأثير "العولمة على طبيعة التدين في العالم، نجد بعض الباحثين (أولفي روا، جيل كبيل، وغيرهم)، وبمستويات مختلفة يعبّرون عن كون العولمة، كفكر ومنظومة قيم ومشروع حداثي، ساهم في إحداث مجموعة من القطائع والتصدعات في الخصوصيات الثقافية للعديد من المجتمعات، لا سيما الإسلامية منها تحديدا، حيث خلقت موجات التحديث القسري أو المفكر فيه مجموعة من المظاهر المؤرقة التي تؤشر على وجود " أزمة هوية" عند غالبية أبناء العالم الإسلامي، ففي الوقت الذي ينحو خطاب العولمة إلى سحق كل الخصوصيات الثقافية والدينية والقيمية، مرة باسم التحرر، ومرة باسم التحديث، ومرة باسم القيم الكونية، فإننا نعثر على ردود فعل عنيفة أحيانا تدعو إلى التعلق بالقيم الخصوصية إلى حد التقوقع والدوغمائية، وفي أحيان كثيرة نعثر على خطاب توفيقي تلفيقي " البريكولاج" بلغة " ليفي ستراوس" ومفاد هذا الخطاب الثاني هو أن المسلم يمكنه أن يعيش في هذا العالم المعولم، لكن مع الاحتفاظ بقيمه وبدينه وبثقافته، في هذا الصدد يمكن الرجوع إلى الاستقصاء الكبير حول" من يتحدث باسم الإسلام، لجون اسبيزيتو، ودااليا مجاهد، إذ يبين بلغة الأرقام والمعطيات نماذج من هذه الإجابات التي تتبنى خطاباً توفيقياً بين العولمة/ الحداثة المعاصرة، من جهة، وبين الدين من جهة أخرى، بل إنّ ما نودّ أن يتمّ الانتباه إليه هو بروز حالات من التدين في العالم الإسلامي، شكلت شبه قطيعة في نمط التدين السابق، ولعل أبرزها على الإطلاق، حالة التدين الفردي"[31].

"والعلمنة تشير إلى العملية التاريخية التي يفقد فيها الدين أهميته الاجتماعية والثقافية، ونتيجة للعلمنة يصبح دور الدين في المجتمعات الحديثة مقيداً، ففي المجتمعات العلمانية تفتقر العقيدة الدينية إلى السلطة الثقافية، لا تتمتع المنظمات الدينية إلا بقدر ضئيل من القوة الاجتماعية، كما أن العلمانية تجسد تغييراً مجتمعيا بعيد الأمد، ولكنها تخلف عواقب وخيمة على الدين ذاته، وفي البلدان الغربية، حيث كانت أكثر وضوحاً، أصبح الارتباط بتراثها المسيحي أكثر هشاشة وضعفاً، ورغم هذا فإن العلمانية تشكل أهمية كبرى في الغرب المسيحي سابقا، لأن العديد من القوى التي دعمت العلمانية تؤثر على مجتمعات أخرى"[32].

إن "مقاربة زيمل للحداثة مختلفة فهي بقدر ما تتجنب التاريخ تركز على تجربة الحداثة، فيرى الموتيفات الرئيسية لهذه التجربة هي التشرذم وسرعة الزوال، حيث تطرح الحداثة عنده، عالما ماديا وفكريا مكونا من علاقات طارئة، ونسبية ثقافية، وحدود زائلة، على عكس تكوينات اجتماعية متشبثة بمبدأ الوراثة والكونيات الدينية"[33].

فإن "العديد من النتائج التجريبية تدعم الادعاء بأن التنمية الاجتماعية والاقتصادية تولد مواقف وقيم أكثر حداثة – أكبر قدر من التسامح وتقدير الحرية، أعلى مستويات الفعالية السياسية، وقدرة أكبر على المشاركة في السياسة والحياة المدنية نظرية ما بعد الحداثة التي طورها رونالد إنغلهارت ويتفق زملاؤه مع منظري التحديث في مطالبهم المركزية، لكن الديمقراطية تزداد احتمالية مع انتقال المجتمعات إلى ما بعد مرحلة التحديث وجود التحول بين الأجيال نحو قيم ما بعد المادية، المرتبط بارتفاع مستويات التنمية الاقتصادية (Inglehart، 1977؛ Inglehart , Abramson، 1999). تؤدي التنمية الاقتصادية إلى ارتفاع مستويات التسامح والثقة والنشاط السياسي، فهي تؤدي إلى تزايد المطالب الجماهيرية بالتحرير في المجتمعات الاستبدادية وارتفاع مستويات المشاركة الجماهيرية المباشرة في المجتمعات الديمقراطية، وفقًا لنظرية التحديث، تراجع في القيم الاجتماعية التقليدية وزيادة في القيم الحديثة

بما في ذلك تلك المتعلقة بالثقافة المدنية والتوجه الديمقراطي من التحديث الاقتصادي والاجتماعي، ولا سيما من خلال زيادة الحراك الاجتماعي والمشاركة في النشاط الاقتصادي والمعرفي، التعبئة التي أحدثتها وسائل الاتصال الجماهيري، التحديث وأثره على تغيير القيمة يمكن أن يحل محل النظم الثقافية المختلفة، وتجارب الانتقال للأنظمة السياسية المختلفة، أدى التحديث إلى اتجاه في التقارب العالمي للقيمة"[34].

"العلمانية التي صاغها م، فيبر تعني في بعدها الأساسي "تغليب ما في هذا العالم من قيم مادية معنوية على ما في العالم الآخر من وعود غيبية أخروية، أو هي على حد تعبيره، انتصار العقلانية القاصدية على العقلانية الجوهرية الموجهة بالغايات والأهداف الدينية، إن ما يسميه فيبر بالعقلانية القاصدة أو الأداتية قد تشكل في رحم ما يسميه العقلانية الجوهرية أي العقلانية الدينية إلا أنها مع ذلك تنحو تدريجيا نحو الاستقلال التام عن أي موجات دينية أو غائية وجودية، مكتفية بالتمركز حول الوسائل والإجراءات العملية الناجعة"[35].

فضلاً عن ذلك فقد افترض يورجن هابرماس أن "العلمانية تعني تعمد استبعاد وتجاهل الدين أو تقليصه، وإقصاء للدين في العلمانية في مجال التداول العام، مشيرا إلى أن المجتمع الحديث ربما خسر مورداً أخلاقياً بالغ الأهمية، إن العلاقة السائدة بين الدين والسياسة، تكمن أساسا في أن الدين من الممكن أن يضفي الشرعية على القيم والممارسات الدينية السائدة في المجتمع، من خلال توفير إطار مشترك حول إدارة ممارسة السياسة اليومية، وعلى هذا فإن الدين الذي يستبعد منافسيه، إما أن يضفي الشرعية على الدولة أو يدعم الدولة أو يخدم كنقد خاص به"[36].

يتولى رونالد إنغلهارت إجراء دراسة علمية شاملة حول اقتراحه الذي يقول: إن المستويات العالية من الأمن الاقتصادي والبدني أدت إلى تغيرات ثقافية مشتركة بين الأجيال، أعادت تشكيل قيم الناس ونظرتهم العالمية، الأمر الذي أدى إلى التحول من القيم المادية إلى قيم ما بعد المادية، وكان ذلك جزءاً من تحول أوسع نطاقاً من البقاء إلى قيم التعبير عن الذات، ويستند هذا الكاتب إلى العمل السابق الذي أنجزه المؤلف فيما يتصل بالتحديث باعتباره عملية متعددة الأوجه للتغيير الاجتماعي، تتمحور حول تغيير القيمة، وهو ما يشكل تغييراً تحويلياً في تأثيره وتقدمياً في تأثيراته.

وحقيقة أن المجتمع كان تاريخياً بروتستانتياً أو أرثوذكسيا أو إسلامياً أو كونفوشوسيا أدى إلى نشوء مناطق ثقافية تتمتع بأنظمة قيمة متميزة تستمر حتى عندما يكون المرء يسيطر على التأثيرات المترتبة على التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ورغم أن أنظمة القيمة في مختلف البلدان تتحرك في نفس الاتجاه تحت تأثير قوى التحديث القوية، فإن أنظمة القيمة لديها لم تكن متقاربة، كما توحي النماذج التبسيطية للعولمة الثقافية، ومن خلال إعادة النظر في المفاهيم العلمية لنظرية النشوء والارتقاء والمزج بينها وبين نظرية التحديث،[37] ولكي يدخل الدين إلى مجاله الخاص في أواخر تسعينيات القرن العشرين مع ظهور دراسات تجريبية جوهرية، فقد بدأ أيضاً في تلقي المزيد من التأمل الجاد، ولكن في تقييم داوسون وكوان بدأت للتو دراسة الكيفية التي يمارس بها الدين على شبكة الإنترنت، وهي تؤكد الحاجة إلى فهم التطورات على شبكة الإنترنت في سياق الظروف الاجتماعية والثقافية الأوسع، التي تغير الحياة في المجتمعات الحديثة، وفي أحدث هذه المجموعات، يقدم هوجسغارد ووارربرغ (2005) تصنيفًا مفيدًا ولكنه قصير، يحدد ثلاث موجات من الأبحاث المتعلقة بالدراسة الأكاديمية للدين على الإنترنت، وتُستخدم صور الموجة لتوضيح مدى تحرك أسئلة بحثية معينة وبؤرة الباحثين في اتجاه معين، وفي نهاية المطاف أدت إلى ظهور مجالات تركيز جديدة[38]، وتواجه "نظرية العلمنة حاليا التحدي الأكثر جدية في تاريخها الطويل، إذ يؤكد نقادها أن ثمة اليوم مؤشرات عدة دالة على استمرار الدين وحيويته، وهي مؤشرات تراوح بين الشعبية المستمرة في ارتياد الكنائس بالولايات المتحدة، وظهور عصر الروحانية الجديد في أوروبا الغربية، وتنامي الحركات الأصولية، والأحزاب الدينية في العالم الإسلامي، والصحوة الإنجيلية التي اكتسحت أمريكا اللاتينية، والتصاعد المفاجئ للصراع الإثني – الديني في الشؤون الدولية، إذ من الواضح أن الدين لم يختف في العالم، ومع ذلك مازال مفهوم العلمنة يحتل حيزا مهما داخل ما يجري الآن في هذا الكون"[39].

خاتمة:

تأسيسا على ما سبق يمكننا القول إن التحول الذي طرأ على القيم الدينية هو نتيجة مجموعة من الأسباب، التي ساهمت بشكل كبير في تحول بعض أنماط التدين، مما يخلق نوع من التناقضات لدى الشباب في الحفاظ على القيم التقليدية والقيم العصرية، إلا أنه في سياق التحول التي يشهدها العالم، يظهر أن الشباب مازالوا يحافظون على بعض القيم فقط، حيث أصبح الشباب يعيشون ازدواجية في التدين، الشيء الذي ينعكس عليهم سلبا على حياتهم اليومية.

الهوامش:

[1] – عبد اللطيف كداي، التحولات الاجتماعية القيمية للشباب المغربي محاولة للرصد والفهم، مجلة كلية علوم التربية السلسلة الجديدة، العدد 7، 2015، ص، 82.

[2] – رشيد جرموني، الشباب المغربي وحرية المعتقد جدل القيم الكونية والخصوصية، قسم: الدين وقضايا المجتمع الراهنة، د ع، 2017، ص، 2.

[3] – محمد أمين بشيبة، تحولات القيم في المجتمع المغربي، د م، د ط، 2020، ص، 4.

[4] – مرزوق العيسي، التدين لدى الشباب المغربي حالة مدينة فاس –دراسة ميدانية– بحث محكم مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدين وقضايا المجتمع الراهن، د.ع، 2023، ص ص 9-10.

[5] – محسن الأجرومي، الانعكاسات الثقافية والاجتماعية على السلوك الانتخابي، مجلة المعرفة للدراسات والأبحاث، العدد الثامن عشر، 2024، ص ص 1263-1264

[6] – عبد الرحيم العطري، احتمالات التحول القيمي: صيغ التفاوض والترميق (البريكولاج)، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، د ع، 2015، ص، 2.

[7]– ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، مجلد2 ، دار صادر، بيروت، دون ذكر الطبعة، 1956، ص 72.

[8]– بدوي، احمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان،1977، ص 438.

[9]– الحسن احسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للمطبوعات، لبنان، بيروت،1999 ، الطبعة الأولى، ص، 89.

[10] – حنان محمد عبد المجيد إبراهيم، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث دراسة تحليلية نقدية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 2011، ص ص 32- 33.

[11] – رحالي حجيلة، التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري المفهوم والنموذج، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر– بسكرة، العدد السابع، 2010، ص ص 3- 4.

[12] – جمال عائدي، القيم الاجتماعية والتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع تخصص علم الاجتماع التغير الاجتماعي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر2، 2015/2014، ص، 54.

[13] – Mohamed–Sghir JANJAR, (2017), Lire les mutations sociologiques au Maroc, Université Citoyenne – HEM, Fès, p, 4.

[14] – الصنهاجي إدريس، التحولات الاجتماعية وأنماط التدين بالجهة الشرقية حالة مدينة وجدة، مرجع سابق، ص ص 146- 147.

[15] – يوسف شلحت، ت، خليل أحمد خليل، مدخل إلى علم اجتماع الإسلام من الأرواحية إلى الشمولية، دار الفارس للنشر والتوزيع مطبعة سيكو/ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003، ص ص 127- 128.

[16] – شامل عبد العزيز، الدين الإسلامي عائق أمام التغير الاجتماعي، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، د ع، 2009، ص ص 1-2.
الرابط الإلكتروني:https://www.ssrcaw.org/ar/art/show.art.asp?aid=181566 اطلع عليه يوم 2020/4/3.

[17] – بودون رايمون، وبوريكو فرانسوا، ت، سليم حداد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الطبعة الأولى، 1986، ص، 172.

[18] – حنان محمد عبد المجيد إبراهيم، التغير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث دراسة تحليلية نقدية، مرجع سابق، ص ص 59 – 60.

[19]– أنتوني غيدنز، ت، فايز الصياغ، علم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص ص 582- 583.

[20] – رشيد جرموني، الدين والإعلام في سوسيولوجا التحولات الدينية، دار الفيصل الثقافية، الرياض، د ط، د س،

ص ص 20- 22.

[21] – مصباح محمد، الإعلام الجديد، العولمة وتحدي " خصخصة" القيم، قسم الدين وقضايا الدين الراهنة، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، د ع، ص، 1.

[22]– جرموني رشيد، سوسيولوجيا التحوّلات الدينيّة التديّن الفردي نموذجا، مقال، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية، د ع، 2015، ص ص 4– 5.

[23] – هايني باتريك، إسلام السوق، د م، د ط، د س، ص ص 39– 40.

[24] – مالوري ناي، ت، هند عبد الستار، الدين الأسس، مرجع سابق، ص، 54.

[25] – شارل تايلور، ت، محمد أحمد صبح، الدين والعلمانية، دار نينوي، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، د س، ص، 61.

[26] – نور الدين بوعبدلي، عولمة القيم وأثرها على أساليب الضبط الاجتماعي داخل الأسرة الجزائرية –دراسة ميدانية بولايتي الجلفة والاغواط، مرجع سابق، ص 17.

[27] – أنتوني غيدنز، ت، فايز الصياغ، علم الاجتماع، مرجع سابق، ص،116.

[28] – alfonso pérez – agote, (2014), the notion of secularization drawing the boundaries of its contemporary socientific validity Universidad complutense of Madrid, Spain, p,1.

[29] – عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية العلمانية الشاملة المجلد الأول، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1968، ص، 53.

[30] – خضر إ. حيدر، ما بعد الغرب بحث في معاني ودلالات مفاهيم ومصطلحات تأسيسية، مجلة الاستغراب، العدد 17، 2019، ص ص 263– 264.

[31] – جرموني رشيد، سوسيولوجيا التحوّلات الدينيّة التديّن الفردي نموذجا، مرجع سابق، ص ص 1– 2.

[32] – Bryan s. turner, (2011), Religion and Modern Society, op.cit. p, 134.

[33] – تيم إدواردز، ت، محمود أحمد عبد الله، النظرية الثقافية وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2012، ص، 74.

[34] – Yun-han Chu, (2004) Modernization, Institutionalism, Traditionalism, and the Development of Democratic Orientation in Rural China, pp. 3-4.

[35] – عبد السلام رفيق، تفكيك العلمانية في الدين والديمقراطية، دار للمجتهد للنشر والتوزيع، تونس، الطبعة الأولى، 2011، ص، 77.

[36] – Samantha May, Erin K. Wilson, Claudia Baumgart-Ochse & Faiz Sheikh, (2014)، The Religious as Political and the Political as Religious: Globalization, Post-Secularism and the Shifting Boundaries of the Sacred, Politics, Religion & Ideology, pp, 337- 341. To link to this article: https://doi.org/10.1080/21567689.2014.948526
(Consultee le 5 mars 2019).

[37] – Ronald Inglehart، (2018)، Cultural Evolution, People's Motivations are Changing, and Reshaping the World، Cambridge University Press, Vol. 2, No. 2, pp, 198-199.

[38] – Heidi Campbell ,(2011), Internet and Religion, 234.

[39] – بيبا نوريس – رونالد إنغلهارت، ت، وجيه قانصو – أحمد مغربي، مقدس وعلماني الدين والسياسات في العالم، مرجع سابق، ص ص 20-21.